علاقة الآيات الفقهية والعقل في القرآن الكريم بناء على منهج العلامة الطباطبائي

محسن بانشي (الكاتب المسؤول)
طالب دكتوراه، فرع الفقه والحقوق الإسلامية، جامعة أمير المؤمنين أهواز، إيران
Mohsen.baneshi45@yahoo.com
الدكتور سيد حسين آل طاها
أستاذ مساعد، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة الشهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
shaltaha@scu.ac.ir
الدكتور سيد محمد حسن ملائكة پور شوشتري
أستاذ مساعد، جامعة الشهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
mailto:h.malaekehpour@ scu.ac.ir

The Relationship between Verses of Rulings and Reason in the Quran with an Emphasis on Allameh Tabataba'i's Perspective

Mohsen Banshi (Primary Author)
Ph.D. Student in Islamic Jurisprudence and Principles of Islamic Law , University of Amiralmomenin Ahvaz , Iran
Dr. Seyed Hossein Al-Taaha
Assistant Professor , College of Islamic Sharia , Shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran
Dr. Seyed Mohammad Hassan Malaekahpoor Shushtari
Assistant Professor , Shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran

الملخص:-

يعد الفقه والأحكام العملية من العلوم المحورية في المعارف الإسلامية، وللمفاهيم الفقهية دور فاعل ومؤثر على الحياة الفردية والإجتماعية في المجتمع الإسلامي، وتعتبر الآي الشريفة في القرآن الكريم من أبرز المصادر في إستنباط الأحكام، ويعتمد على العقل البشري كمصدر للإجتهاد في غياب الإدلة والبراهين القرآنية والنقلية. ومع هذا يرى العلامة الطباطبائي أن جميع المعارف القرآنية ومن بينها الفقهية مبنية على العقل ومسلماته البديهية وهنالك علاقة وثيقة بين مآخذ الآي الشريفة وبديهيات العقول السليمة.

وعليه، فكلما كانت الأحكام الفقهية في البعد الفردي أو الإجتماعي مقرونة بالتعاليم القرآنية والسنة النبوية وبعبارة أخرى كلما كان إثبات العلوم الفقهية المستنبطة من الكتاب والسنة متكئا على المسلمات العقلية والمنهجية القرآنية كلما سهل قبوله عند المخاطب والسائل الباحث عن الحق. ومن هذا المنطلق فكل حكم فقهي مستخرج من القرآن والسنة وهو مناقض للبديهيات العقلية؛ فهو حكم مردود لا يمكن إنتسابه للقرآن الكريم ولو كان هذا الحكم في الظاهر مستنبطا من القرآن والسنة.

الكلمات المفتاحية: القرآن، العقل، الآيات الفقهية، الفقه الإسلامي، العلامة الطباطبائي.

Abstract:-

Fiqh or practical rulings is one of the main knowledge in Islamic education. The finding of this knowledge is widely used in Muslim life and has had a significant impact on their personal and social behavior. The verses of the Qur'an are one of the main sources of this knowledge. Although, in the absence of Qur'anic and Sunnah proofs, reason itself is one of the jurisprudential proofs in the process of deriving rulings. Nevertheless, from Allameh Tabatabai's point of view, all the teachings of the Qur'an, including the ayat al-Ahkam (verses of rullings), are based on human reason and wisdom, and there is a close connection between the ayat al-Ahkam and reason.

Therefore, any number of jurisprudence rulings that are inferred and extracted from the Qur'an and Sunnah with a rational approach in the individual and social sphere, or in other words, any number of jurisprudential propositions extracted from the Qur'an and Sunnah based on a rational approach, in addition to that which is based on the methodology of the Qur'an in expressing its knowledge, it is easily accepted by the curious and questioning audience. Therefore, if in the process of ijtihad from the Qur'an and the Sunnah, rulings are produced that are in contradiction with the intellect and understanding of the wise, such rulings cannot be attributed to the Qur'an and God, even though such an opinion is based on the appearance of the verses of the Qur'an or authentic traditions.

Key words: Qur'an, Intellect, Ayat al-Ahkam, Islamic Jurisprudence, Allameh Tabatabai.

المقدمة:ـ

غالبا ما يجزم المفكرون أن وجه التمايز بين الإنسان وباقي المخلوقات هي " العقل " وقوة التفكر على إنها خصيصة من خصائص الإنسان. و قد أثبت علم النفس هذه السمة الربانية للإنسان وأنها لا توجد بهذا الشكل عند باقي المخلوقات أو لا توجد كليا ولعلها موجودة ولكن بالشكل الضئيل حيث لا يمكننا أن نسميها " تعقل " وعليه فقد أطلقوا على هذه القدرة "الغريزة". بالرغم من هذا يبين لنا القرآن الكريم أن هذه القوة ليست الوحيدة التي تميز البشر عن باقي المخلوقات، بل إن ما يميز البشر عن غيرهم هي كيفية التوظيف أو بعابرة أخرى نوعية التوظيف لهذه القدرة الربانية.

و على كل فعلاقة الإنسان بالرب هي من المحاور الأساسية والفاعلة للعقل البشري والتي يطلق عليها أيضا بالتعاليم الدينية، و تقسم هذه التعاليم غالبا على ثلاثة أوجه وهي المعتقدات و الخليقيات والأحكام. المعتقدات هي الإيمان بالله والرسول واليوم والأخر و... والإثبات والإعتقاد ولوازم هذه التعاليم أمور مثبوتة عقليا.

والخلقيات كذلك منبعثة من التعقل والتفكر خاصة عند من يرون أن للأفعال ذاتا حسنة وأخرى قبيحة. وفي الإثنين نشاهد أن الآمر والناهي هو الشرع وأن كل وصاياه وأوامره ما هي إلا تذكر وتنبيه لمآخذ العقل البشري. و في مجال الأحكام أيضا لو تصورنا أن الأصول الفقهية هي المشرعة للأحكام والواقع يؤيد هذا فمن البديهي أن أهم ركن في الأصول الفهية هو العقل البشري وملزماته وتعاريفه وكذا إستدلالاته. إذ لا يمكن قبول أن الدين والشريعة التي تتدعي أن تعاليمها منبعثة من العقل البشري السليم؛ بينما لا تجعل للعقل مكانا بين مصادرها الهامة. ويؤيد العلامة الطباطبائي هذا قائلا: إن الإسلام قد بني على التعقل والتفكر.(الطباطبائي، ١٣٧٤،ج٢،ص٢٨٢-٢٩٠و ج٤، ص ١٥٩)

وعليه نقول أنه لابد أن تغربل جميع المعارف الربانية بغربال العقل البشري أولا ومن هذا المنطلق فحتى القول بأن العقل البشري ناقص ولابد له من الإتكاء على الوحي الإلهي وأنه يمنع توظيف القياس والإستحسان في الأمور الفقهية؛ حتى هذا المقولة إنما قبلت لأن العقل برهن أحقيتها وصحتها.

ومن هذا المنطلق أيضا يرى العلامة الطباطبائي أن العقل من المحاور الأساسية التي قامت عليها قوائم التعاليم الدينية ومن بينها الأحكام الفقهية في القرآن والسنة حيث أن العقل هو الذي يمهد طريق البشر في مسيرهم نحو السعادة المنشودة في الإسلام؛ إذ أن الله تعالى قد وضع كل الشواخص التي تبين للإنسان الصواب من الغلط في التعقل والتفكر. (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج ٢، ص٢٨٢)

وتعود ضرورة هذا البحث إلى أنه ومع الأسف لا نرى مكانة للتعقل بصورته التوظيفية في تعاليم الشرعية وخاصة الأحكام الفقهية منها، وأن ما يسطلح اليوم بالإجتهاد في المراكز الدينية ماهو إلا حبر على ورق.

وعلى كل فما نبحثه في هذا المقال هو قسم من تعاليم الشريعة أي" علاقة الأحكام بالعقل" حيث بحثنا هذا الأمر على منهج العلامة الطباطبائي وبطريقة موضوعية.

الفقه والعقل لغة:

ذكرت مفردة الفقه ومشتقاتها خاصة " التفقه " بكثرة في القرآن الكريم (النساء/٧٨، الأعراف/١٧٩، هود/٩١، التوبة/١٢٢، المنافقون/٧ و...) وكذلك في الأحاديث الشريفة بكثرة. و غالبا ما وظف اللغويون مفردة " فقه " بمعنى " فهم " (راغب الإصفهاني، ١٤١٢ق، ص٦٤٢، وطريحي، ج٦، ص ٦٥٥، وخليل بن أجمد، ١٤٠١هـ، ج٣، ص٣٧٠.) ولكن يبدو أن "الفهم " يعني التعلم، وتعني مفردة " فقه " الوعي الكامل بالشيء.(مطهري، ١٣٧٦، ج١٦، ص٤٦.).

ويعتقد العلامة الطباطبائي أن التفقه المذكور في الآية الشريفة "و ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين" (التوبة، ١٢٢) هو الإلمام بجميع التعاليم الشرعية سواء الأصول أو الفروع الدينية وليس الأحكام فقط، حيث نرى اليوم أن "التفقه " يصطلح للأحكام الإسلامية لا غيرها. (الطباطبائي/ ١٣٧٤، ج٩، صص٥٥٠ و ٥٦٦.).

وتعني مفرد " العقل " الفهم، والدرك، والمعرفة(قرشي، ١٣٧١، ج ٦، ص٢٧) والشَد، والمحافظة على الشيء (راغب الإصبهاني، ١٤١٢ق، ص٥٧٨). و إضافة على هذا تطلق هذه المفردة على القوى البشرية المستعدة والتكوينية لقبول المعلومات الجديدة أو على تلك المعارف المكتسبة بواسطة هذه القوى والطاقة البشرية. (المرجع نفسه، ص٥٧٧).

في حين يرى العلامة الطباطبائي أن مفردة "العقل " تعني الشَد والربط وعليه فإن العقل يعني أن الإنسان يعاهد نفسه ويربط المعارف والمفاهيم المكتسبة بقلبه ويحافظ عليها.كما يمسى الإدراك البشري الذين يبين له الخير من الشر والحق من الباطل " عقلا " أيضا. و يقابل هذه المفردة، مفردات وتعابير مثل " الجنون " و "السفاهة " و "الحماقة " و"الجهل " وكلها تعني عدم تواجد قوى التعقل والتفكر في الإنسان، حيث يطلق عليها في ظروف مختلفة بالجنون وتارة بالسفاهة وأخرى بالحماقة والجهل. (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج٢، ص٣٧١.).

وعليه نقول أن التوظيف الأكثر إستعمالا لمفردة "العقل " هو تمييز بين الخير والشر والنافع من الضار وقد يطلق أحيانا عن الغرض الدفين وراء هذا التمييز(الطباطبائي، ١٣٧٤، ج١، ص٦١٠ و ٦١١ وج٢، ص٢٨٢ و ج١٩، ص٥٩٢).

وبناء على ما سبق فإن البشر يشارك بقدرة التفكر والتعقل في طرح الآراء والتنظير في الأمور المختلفة ما قبل مرحلة العمل، ويملك الحكم التنفيذي في مرحلة العمل ومن البديهي أن ما يدفع الإنسان نحو التفكر قبل التنفيذ والإجراء هو تلك القوى الفطرية في ذات الإنسان و يطلق على هذه القوى " العقل".(المرجع نفسه، ج٢، ص٣٧٤). ولذا تعد القوى العقلية من السمات الفطرية للإنسان. (المرجع نفسه، ج٢٠، ص٥٠٠).

مكانة العقل في القرآن الكريم:

الحقيقة أن القرآن والسنة لم يخرجا التعقل من عين الإعتبار بل وكيف يعطلان هذه السمة الربانية و قوة التفكر هي من اثبتت للبشرية وكما سبق ذكره أن القرآن وحي إلهي، بل وحتى إثبات وجود الله تعالى إنما جاء بالأدلة القاطعة التي برهن عليها العقل البشري، ولهذا نجد أن الله تعالى قد أمر في القرآن الكريم مرارا وتكرار بالتعقل والتدبر، وبناء على هذا فإن كانت هناك آية تحاول نفي القدرة التعقلية والتفكرية للإنسان فهي في الوهلة الأولى ستنفي أحقية نفسها ثم تنفي "التعقل ". (المرجع نفسه، ج١، ص٩ و١٠ وج١٥، ص١٧٢). ولو أدحجت الحجج العلقية ونفيت فلن يبقى مكان للمفاهيم الدينية كذلك إذ أن العقل هو من أثبت وجود كلام إلهي متمثل في القرآن الكريم وهو الكتاب الذي أخذت منه جميع المفاهيم الإسلامية. (المرجع نفسه، ج١٧، ص١٧٢،١٧١).

والقرآن الكريم قد جعل التعقل والتفكر من البديهيات و أن قدرة الإختيار قد وردت

في الآي الشريفة بحيث يملك الإنسان قدرة الإختيار بين الخير والشر. ولقد وجبت عليه التكاليف الدينية لأنه يستيطع أن يميز بين الخير والشر والنافع من الضار والطاعة من المعصية والثواب من العقاب. ولذا إن وظف العقل في خدمة الشريعة وإطاعة الله في ما أمر والتوقف عند نواهيه؛ فإنه سينال السعادة ويلقى الأجر الكبير. وإن خالف عقله وإتبع هواه فإنه سيشقى في الحياة ويلقى وباء أعماله وعصيانه. (المرجع نفسه، ج٨، ص١٢٠).

يحصر القرآن الكريم العقلاء والمفكرين في الذين أطاعوا الله وإتبعوا هدايته كما ينقل عن الأمام موسى الكاظم في تفسير الآية الشريفة: " فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولائك الذين هداهم الله و أولائك هم اولوا الألباب" (الزمر /١٨-١٧) أن هؤلاء هم أهل الفهم والتعقل.

ويثبت القرآن الكريم أن العقل البشري هو أول داع للتوحيد حتى قبل الأنبياء، فقبل أن يدع الأنبياء الناس للتوحيد؛ كان العقل يدعوهم ليوحدوا الله في خلقه ولا يجعلوا معه شريكا آخر في ألوهيته، وعليه فالكافر يكذب عقله قبل تكذيبه للأنبياء والرسل.(طبابائي، ١٣٧٤، ص ٢٥٩و ٢٦٠).

وعلى كل يدعو القرآن الكريم والسنة الناس للتعقل والتدبر في آيات الله تعالى وبذل الجهد لمعرفته والتفكر والتدبر والإستناد إلى الحجج العقلية على خلاف بعض من العلماء السطحين القائلين ببدعية التعقل والإمساك بالكتاب والسنة فقط، ولكن كيف يمكن أن يمنع الكتاب وكيف تخالف السنة التعقل والتدبر وقد حرضتا عليه كثيرا في مواضع متعددة لا تحصى.(المرجع نفسه، ص١٩١).

و لم يقل جزافا من قال إن المصحف الشريف ليس الكتاب الوحيد الداعي للتعقل والتدبر كي نستند حصرا إلى حججه وبراهينه لنيل المفاهيم والتعاليم الصحيحة ولكن الإلتزام به وتتبع خطاه مثمرة في الوصول إلى الكثير من المفاهيم الشرعية و القرآن نور إلهي وكتاب مواعظ و حكم وقد مزج بين الأمور العقلية والبراهين بالمواعظ والحكم الدينية ثم دعا إلى التدبر والتعقل. (المرجع نفسه، ج١، المقدمة، ص ١). وتبثت هذا الكثير من الآي الشريفة (الطلاق/١٠ والمائدة/١٠٠) فالقرآن يميل نحو التعقل لينال المومنين التقوا فالعقل يحكم عليهم برذالة العلو والتكبر امام اوامر الله ونواهيه وأن التكبر والعلو أمام الرب بمثابة

الدخول إلى العذاب الأبدي. (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج٨، ص ٥٤٤، ٥٤٥).

إجتماع العقلاء والشارع في التقنين:

يبدو أن الله تعالى قد إعتمد على العقل السليم فقط في الأحكام والنواميس الإلهية، إذ أن العقل السليم هو من يقود البشرية نحو الصلاح الإجتماعي وإلى قضاياء بغمكانه ان ترصن من إستحكام المجتمعات الإنسانية.(المرجع نفسه، ج٦، ص٢١٦). وعليه فطريقة التقنين عند العقلاء والشارع واحدة وأن الأسس والنظم العقلية هي نفسها الأسس والنظم المتبوعة في الأحكام والتشريع. ومن هذا المنطلق نجد الله تعالى قد تربع في مقعد العقلاء وقد وظف تمام المعايير المستخدمة عندهم وقد سمى الحسن عندهم إحسانا و أوجب له الشكر والثناء وأطلق الإكراه على مكروههم وأوجب له الذم والندم. وقد جعل الإبتعاد والفرار من المفاسد والرذائل غاية للبشر وبين لهم في سبيل نيل هذه الغاية والسعادة أفضل الطرق وأسلمها سيرا. وهذه في الحقيقة هي المعائير التي سار عليها العقلاء؛ أي أن التمييز بين الخير والشر، والصالح من الفاسد، والأوامر والنواهي وموجبات الثواب والعقاب والمدح أو الذم وما على شاكلتها والتي ثبتت عند العقلاء؛ قد ثبتت عند الله تعالى وقد شرع تعاليمه الإلهية بناء عليها(همان، ج١، ص١٤٧و١٤٨). و من هنا نرى أن الله تعالى قد أمر الناس بإتباع العقل والإبتعاد عن كل الشوائب التي تضر به وتقوده نحو الضلال.(المرجع نفسه، ج٢، ص٢٨٢).

ويعتمد القرآن الكريم حتى في الأحكام الجنائية على البراهين العقلية، وقد صحت المقولة القائلة بإختلاف الجزاء في العالم الأخروي عن العالم الجسماني أي الدنيوي، ومع أحقية هذا إلا انه لا يجب أن يتوهم متوهم ببطلان البراهين العقلية في الآخرة، إذ أن القرآن الكريم (الزمر/٧٠ وابراهيم/٢٢) إحتج ببراهين عقلية وملموسة عند البشر في مواضع كثيرة منها: إستلاله عن الآخرة أو حديثه عن الملائكة القابضين على أرواح المجرمين أو حديثه عن القيامة و جهنم و الجنة.(الطباطبائي، ١٣٧٤، ج٢، ص٢٦٢، ٢٦٣).

إن ما يدعونا للتأمل هنا هي نوعية الخطاب القرآني والذي يزيل الشك والترديد بشكل كامل، فقد خاطب الله تعالى الناس بلسانهم و إلتزم بملزماتهم الأجتماعية وأصولهم وقوانينهم الملموسة عندهم وقد حافظ على علاقته بالناس بهذا الشكل. (المرجع نفسه، ص٢٦٣).

وقد صرح القرآن الكريم أن الآخرة وكنهها أكبر بكثير من دائرة التصور والتخيل البشري وأن لا يمكن للذهن البشري إستيعابها ودرك ماهيتها. ولهذا قد أنزل الله فيها بيانا بقدر مناسب كي يستوعب الناس شيئا منها ويحيطوا ببعض تأويلها(زخرف/٤) ومع هذا فالقرآن الكريم قد إعتمد الامور العقلية في بيان الأحكام الجنائية ومتعلقاتها المقبولة عند العقلاء والمجتمع والأذهان العامة وأساسها ومحورها هو مراعاة المصالح والمفاسد العامة.(الطباطبائي، ١٣٧٤، ج٢، ص٢٦٤و٢٦٥و ٢٧٠).

أضف على هذا إعطاء الحرية في القرآن الكريم وعدم إرغام الآخرين فكما أشرنا أن العقل السليم هو من يقرر الأحكام والتعاليم. ولم نجد الله تعالى آمرا بطاعته طاعة عمياء دون تعقل في القرآن الكريم حتى ولو بآية يتيمة، ولم نجده يطلب منهم إيمانا دون علم أو إلتزاما دون فهم، بل قد وضع علامات عقلية للإنسان حتى في الأحكام الشرعية التي يقصر العقل البشري على فهمها ودرك كنهها، كالصلاة التي يعجز العقل البشري عن كشف خبايا ثمارها(العنكبوت/٤٥) وأوجبها وبين علتها مبرهنا على إنها تحول بين المرء والفحشاء والمنكرات وأن ذكر الله أكبر منها وآيات أخرى(البقرة/١٨٣ ومائدة/٦). (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج٥، ص٤١٦ و٤١٧). وتبين لنا بعض الآي الشريفة(الجاثية/٥) أن القوى التعقلية للبشر لا تتعدى هذا العالم المادي، حيث أن هنالك عالم آخر خارج هذا العالم المادي وهو " عالم الملكوت" الذي أشار القرآن الكريم (الانعام/٧٤) له وقد خص اهل اليقين في درك هذا العالم وأنفاه عن عموم الناس.(الطباطبائي، ص٣٧٤، ج١٨، ص٢٤٠و٢٣٨).

ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم ينفي المذهب الحسي تمام النهي لكونهم يعتمدون في بحوثهم على التجربة والمحسوسات و لا يضعون الأمور العقلية بعين الإعتبار. ونجد أن التوحيد هو الموضوع الأول في القرآن الكريم وأن سائر المعارف والمفاهيم الدينية قد حلبت من هذا الفرع القويم، وأنه أول ما دعي الناس إليه ولا يخفى على العقلاء أن التوحيد مسألة عقلية لا تمتها أي صلة بالمحسوسات والماديات. (المرجع نفسه، ج٥، ص ٥٠٩و ٥١٩).

وصحيح أن المنهجية القرآنية (بقره/٢٤٣ وطه/٨٩ والشعراء/٧٥ والقصص/ ٧٢) قد ربطت بين المفاهيم الجزئية للأمور وكل ما له صلة بالحواس البشرية بالقدرات الحسية للأفراد و بتجربتهم اليومه. ويتبين في القرآن الكريم(بقره/٥٤ و٢١٩ و٢٨٣ ومائده/٥١

واعراف/٣٣) أن الأمور العملية والتي تتدخل مباشرة في مفاهيم الخير والشر والنافع من الضار والتقوى أو الفجور لا يمكن أن تخرج من تحت إطار الإلهامات الرانية وقد أورد الله في هذه المفاهيم إشكالا فهميا كي يراجع البشر نفسهم وينتبه لأهمية الوحي الإلهي وتعليماته.(الطباطبائي، ١٣٧٤، ج ٥ ص ٥٠٩ و٥١٩)

مكانة العقل في السنة:

مما لا شك فيه أن السنة النبوية قد أولت العقل والتفكر مكانة لم تقدمها لباقي المحاور، فكتب الحديث(برقي، بي تا، ج١، ص ١٨٩- ١٩١ وفيض كاشاني، الوافي ١٤٠٤هـ.ق، ج١، ص١٢٤- ٥١) و من بينها أصول الكافي الذي ينقل في أول بابه المعنون ب" كتاب العقل والجهل"(كليني، ج١، ص٢١،٦٧) أحاديث في منزلة العقل ومكانته(مطهري، ١٣٨٦، ج٢٣، ص١٨٦).

وينقل الكليني في الكتاب نفسه(كليني ١٣٨٧، ج١، ص ٣٠-٢٩، ح١١) حديثا من رسول الله يقول فيه: لم ينشر الله بين عباده نعمة أثمن وأثمر من العقل ولهذا العبد العاقل أفضل من العبد الجاهل المتهجد ليلا ولعبد عاقل متدبر خير من مجاهد جاهل ولم يبعث الله نبيا قط إلا بعد إتمام نعمة العقل له وأن عقل النبي أكبر وأفقه من عقول جميع أفراد أمته، ولو جمعت الثواب والفضيلة وقيمة كل العبادة لجميع عباد الله لم تزن عبادة عاقل واحد، والعقلاء هم أولوا الألباب في الآية الكريمة ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (رعد/١٩) (الطباطبائي، ج١، ص٦٢١- ٦٢٠) ولقد تكررت نفس العبارة في مواطن أخر في القرآن الكريم(البقرة/٢٦٩ وآل عمران/٧) مركدة على الغرض نفسه، ولقد جاء هذا الحديث بشيء من الإختلاف في كتب أخرى (برقي، بي تا، ج ١، ص١٩٣ و ١٩٤، كتاب مصابيح الظلم، ح١١. وتحف العقول، ص٣٩٧، فيض كاشاني، ١٤٠٤هـ.ق، الوافي، ج١، ص٨٥ و٨٦، ح١٥).

ولقد قال الصادق في سياق حديثه عن الإيمان وما إذا كان نطق الشهادة والعمل فحسب فقال: إن الإيمان مقرون بالعمل ونطق الشهادتين عمل لساني أوجبه الله في محكم تزيله ونور وحيه وأن هذا ثابت عند العقول السليمة وأن الكتاب خير شاهد للأمور العقلية وهو الهداية نحو مسلمات العقول.(طباطبايي، ١٣٧٤، ج ١٨، ص ٤٠٥ نقلا من كتاب أصول الكافي للكيني، ج٢، ص٣٣). كما جاء في رواية أخرى أن عدة من أصحاب رسول

الله قد حمدوا مسلما عنده فقال ﷺ: وكيف عقله؟ فقالوا: يا رسول نحن نحدث في عبادته وتقواه فتحدثنا عن عقله؟ فقال: إن المصيبة النازلة من قبل الأحمق لهي أشد بلاء من مصائب أهل الفجور والمعصية وإن الله ليعطي لعباده يوم القيامة على قدر عقولهم وتدبرهم وعلى هذا يتقرب العبد لربه..(نوري، ١٤٠٨، ج ١١، ص ٢١٠).

والتاريخ يشهد أن خلق الرسول ﷺ منذ بداية الدعوة حتى رحلته الشريفة كان مرصونا بالتعقل والتدبر والتطلع وهو الأمر المقابل للجاهلية التي كانت تعادي التعقل والتفكر.

التعقل هي القوة الوحيدة لتشخيص متطلبات البشر الفطرية:

يرى العلامة الطباطبائي أن البشر لن يكون قادرا على نيل السعادة المقدرة له إلا إذا تعايش في مجتمع يتطبق السنن والنواميس الصالحة للحياة، وتعد هذه السنن التابعة للمصلحة العامة من حيث العمل أو الإعتبار؛ شفيعا بين نواقص الإنسان وكمالياته وهي ممر يعبر به بين هذين البوابتين. و عليه فهذه السنن هي من ترسم (الأوامر والنواهي) العملية وتقدم لها الدور والتقدير في الحياة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو أنه ما الملاك وما هي الآلية التي تبين للإنسان متطلباته الحقيقية الصحيحة من تلك الكاذبة المعوجة التابعة للتعثرات النفسية؟

يجيب العلامة الطباطبائي على هذا السؤال مبينا مذهبه الراسخ في أن التعقل هي القوة الوحيدة التي تساعد الإنسان في التمييز بين الخير والشر والنافع من الضار وأن العقل هو من يحكم على المتطلبات كونها ضارة أو مفيدة إذ أن النفس يمكن لها أن تعين للإنسان الماديات واللذائذ فحسب وهي عقيمة عن تشخيص الكمال المعنوي للإنسان. و قد قدمت نوعية الخلقة الكونية لجميع المخلوقات مكونات وقدرات تساعده على تلبية متطلباته بغية الوصول للكمال النفسي. وبناء على هذا فكل قدرة طبيعية للإنسان تساعده على تلبية بعض من متطلباته اليومية في أمور " الأوامر والنواهي" وعلينا أن نسمي هذه العملية بالسنن والنواميس الكونية بحيث لو عمل الإنسان لقادته بالشكل المطلوب لجميع متطلباته الحياتية.

وعلى كل فالعقل ينص على أن الشريعة أو الأصول العملية والسنن والنواميس

المعيشية والتي تعد سمة من سمات الخلقة البشرية؛ لابد أن تكون متمايلة ومتكاتفة مع الغاية التكوينية للبشر والتي أشار المصحف الشريف لها أيضا(الروم/٣٠).(طباطبايي، ١٣٧٤، ج ١٦، ص ٢٨٨).

العقل يحكم بالتقرب من المتطهرات والتجنب من المكروهات:

بعبارة أخرى يبرهن القرآن الكريم في مواطن كثيرة(الروم/٣٠ والأعراف/٣٢ و١٥٧) أن الشريعة مستلهمة من الفطرة البشرية والنواميس الكونية التي تدعو الإنسان إلى الحياة الطيبة السالمة والإبتعاد عن الرذائل والمكروهات. وعليه فإن الله قد حلل الطيبات وحرم الخبائث فقط، ولهذا يمكن القول أن جميع القوائم الدينية و الشرعية مأخذوة من السنن التكوينية الفطرية في العالم وهي متشكلة من الطيبات والخبائث التي تتدخل بشكل مباشر في سعادة البشر أو شقاءه وضياعه. (طباطبايي، ١٣٧٤، ج ١٦، ص ٢١٨). ويشير القرآن الكريم إلى هذا حين قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة/١٠٠) ويذكر أنه لا يوجد عاقل يشكك في أن الإلتزام بالطيبات من الأمور وتجنب الخبائث منها دخيل في سعادة البشر أو شقاءه، ولهذا لابد للمتقي الخائف من الله تعالى أن يلزم نفسه بالشريعة لعله يفلح في التقرب لله تعالى..(طباطبايي، ١٣٧٤، ج ٦، ص ٢١٩).

خلاصة القول أن العقل هو الملاك وآلية القياس للوصول للسعادة والفلاح وقد حكم العقل بلزوم التمسك الطيبات وتجنب المكروهات أيضا...

علاقة الأنبياء والعقل:

لقد شُبه العقل في الأحاديث الدينية بالنبي الباطني (كليني، ١٣٨٧، ج١، ٣٥، ح٢) إذ أن العقل يعمل عمل الأنبياء في هداية الإنسان نحو الإعتقاد والعمل الصالح ويريد منه أن يسير على خطى الفضيلة والتقوا. والسؤال المتبادر للذهن هنا هو أنه ما الحاجة لبعث الأنبياء في ظل تواجد العقل؟ (طباطبايي، ١٣٧٤، ج٢، ص٢٢٢).

وللإجابة نقول بأننا:

أشرنا سابقا إلى أن القرآن يبين أن جميع المفاهيم التشريعية فطرية بحته وأن التقوى أو الفجور أمور ذاتية في وجود الإنسان ولكن مع هذا فالجزئيات الصغيرة أو ما تسمى بالفروع

لابد أن تشرع و تبين بواسطة الوحي الرباني(المرجع نفسه، ج٥، ص٥١٢). وإضف على هذا أن العقل المبين للإنسان الفعل الحسن من القبيح هو العقل العملي لا العقل التنظيري والذي عليه أن يبين ماهية الأشياء. ولذا لايمكن أن يكون التعقل وحده دون الأنبياء مرشدا للبشر. علينا أن نسلم أن البشر لم يستغنوا عن الأنبياء أبدا، أذ أن النبي هو المصطفى من قبل الله تعالى والأمور العقلية هي من تثبت نبوته و وجوبها. (المرجع نفسه، ج٢، ص٢٢٢ و٢٢٣ و ج٥، ص٢٢٩) ومن البديهي أيضا أن ضعف العقل ونقصه في جزئيات الأحكام وفروعها مسلمة عند العقلاء والمعايير العقلية.

حقيقة القوى العقلية:

لقد سبق القول أن مسلمات العقل مقبولة في المنهجية القرآنية، فإن الله تعالى قد منح القوة العقلية للإنسان كي يميز بها الخير من الشر والنافع من الضار والطاعة من المعصية والثواب من العقاب.(الشمس/٧-١٠) وهذه القوى العقلية جعلت الإنسان مختارا وكونه مختارا في قبول الخير أو الشر و التمييز بينها هو ما جعله مكلفا بالتمسك بالتعاليم الربانية وعلى هذا يثوب ويجزى.(طباطبايي، ١٣٧٤، ج٨، ص ١٢٠ و ١٢١). ولهذا يشبه القرآن الكريم(الأعراف/١٧٩) من يسمع الحق الإلهي ووحيه ويعقله ثم لا يقف عنه ولا يتمسك به بالأنعام بل هم أضل. (طباطبايي، ١٣٧٤، ج١٩، ص ٥٩٢ و ٥٩٣) ويتحدث أيضا عن لسان أهل الجحيم قائلا: أن لو أطعنا الرسول في الحياة الدينا وسرنا معه لما كنا من أصحاب الجحيم(الملك/٣٠).(طباطبايي، ١٣٧٤ج١٩، ص ٥٩٢ و ٥٩٣)

باطن الأحكام في خدمة التعقل:

إن حكم العقل يبرهن على أن الدين الإلهي و هو الأصول والسنن العملية لابد أن ترجع إلى المتطلبات ومايحتاجه الإنسان ولابد للتشريع أن يكون مطابقا للفطرة التكوينية للبشر. ولقد أثبت القرآن الكريم هذا الحكم العقلي أيضا (الروم/٥). (طباطبايي، ١٣٧٤، ج ١٦، ص٢٨٨) ولهذا لم يجعل الإسلام العقل المادة المحورية لتعاليمه فحسب بل جعل من تعاليمه ملاذا وجُنة يحمي بواسطتها التعقل والتدبر عند الناس ويساعد في نموه وتطوره وقد نهى عن كل ما يمكن أن يعثر سبيل التعقل والتدبر. (المرجع نفسه، ج٢، ص٢٩٠) لأن الحق لا يتكئ في تعاليمه إلا على العقل السليم وحاشا للعقل السليم أن يقود الإنسان إلى غير

الصواب والمنفعة العامة التي تقوي بنيان المجتمع وتساعد على إستتاب النظم.(المرجع نفسه، ج٦، ص٢١٦ و ج٤، ص١٥٩). ولهذا نجد أن جميع الموارد المنصوصة من قبل الله مثبوتة عقليا لأن بنيان الحياة البشرية وجميع شوؤنها الفردية والإجتماعية موضوعة على سلامة الدرك، وصحة الفهم والتعقل. وعليه فليس عجيبا تأكيد الإسلام على إتباع العقل والنهي عن كلما يعثر التعقل إذ أن جميع الفساد الفردي والإجتماعي متمثل في الأعمال التي تعطل الهداية العقلية والتدبر الصحيح. (المرجع نفسه، ج٢، ص٢٨٢ و ٢٨٣ و ج٨، ص١٠١ و ١٠٢).

الواقعية بين حكم العقل والشرع:

ليس من الصحيح القول بأن الأحكام الإسلامية مجموعة من التعاليم المرموزة والمجهولة المستصعبة على الفهم والتي يجب التعبد فيها بالقطع والجزم بل إن التعقل والفهم والإجتهاد وارد فيها ولهذا نقول أن حكم العقل والشرع حكم واحد.

ومن هذا المنطلق نجد القاعدة الفقيهة التي تقول "بالواقعية بين حكم العقل وحكم الشرع" (سبحاني، ١٣٧٦، ج ١، ص ٩٥ - ٥)، وتنص هذه القاعدة على أن كل ما حكم به العقل حكم به الشرع وكل ما حكم به الشرع حكم به العقل. والمراد هو أنه حين يسمي العقل حكما ب"مصلحة " أو " مفسدة " وقد أثبته بواسطة الحجج وبيان العلة والمعلول فلابد أن يكون الشرع قد أثبته بالأحكام ونص على مصلحته أو مفسدته ولو كان هذا الحكم قد وصل إلينا بالنقل.

و يضيف العلامة الطباطبائي في هذا: لم يأمر الله إلا بالخير والإحسان ولم ينهى إلا عن المكروهات وموجبات فساد الدين، ولم ينص على شيء إلا وقد وافقه العقل البشري ولم يكف عن شيء إلا وقد نص العقل على تركه.(طباطبايي، ١٣٧٤، ج ٧، ص ١٧٣).

كما أضاف في حاشية الكفاية مشيرا إلى نفس الأمر:

«... قاعدة الملازمة «ان كل ما حكم به العقل حكم به الشرع»، و هي و ان منع عنها عدة من الأخباريين و غيرهم اتّكالا إلى ما ورد عنهم عليهم السلام «ان دين اللّه لا يصاب بالعقول» و «انه لا شيء أبعد من دين اللّه من عقول الرّجال» إلى غير ذلك. لكن الحق ان المراد بالعقل في القاعدة بقرينة الحكم و هو القضاء هو الإنسان من حيث انه يقضى

بحسن شيء و قبحه أو بوجوب شيء و عدم وجوبه أي يعتبرها اعتبارا، فهو العقل العملي و حيث لم يتقيد فيها بفرد دون فرد و بصنف دون صنف فالمراد به ما لا يتوقف».(طباطبايي، دون تاريخ، ج ٢، ص ١٨٧). اشية على كفاية الأصول.

تقيديات العقول:

نجد في المنقولات الإسلامية إهتماما كبيرا بالتعقل والتدبر حتى انه يمكننا القول بانه لا توجد شريعة تنص على التمسك بالعقل كما تنص الشريعة القرآنية، ولهذا نقول أن المعارف العقلية هي معارف أصيلة موثوقة.(مطهري، ١٣٧٦، ج ٢٣، ص ١٨٤ و ١٨٥)

وعلى كل فالإسلام وعلى خلاف باقي الأديان كالمسيحية مثلا ينفي تدخل أي مادة أخرى غير العقل في أصول الدين، أي أن الإسلام لا يقبل مادة سوى العقل في إثبات التوحيد ووجود الله تعالى، وعليه فإعتقادات من مثل الرؤيا أو تبعية الاولاد للآباء والاجداد غير ملحوظة في هذا الباب، اللهم إلا البحث المستند على الحجة والبرهان.

وبعبارة أخرى يعتبر العقل المادة الوحيدة التي عليها أن تثبت أصول الدين ولا يمكن لأي مصدر بالتدخل في هذا(المرجع نفسه، ص١٨٥) وعليه فالإسلام يقل ويؤكد على أن مستجدات العقول موثوقة ويمكن ان يستند إلى حججها وبراهينها.(المرجع نفسه، ص١٨٦ و ١٨٩).

ومن هذا المنطلق نهى القرآن عن الإيمان دون البحث والطاعة العمياء بل يحث على التدبر في الأمور وغتباع الحق والبرهان، وكأن المراد من " التبيين " في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (بقره/٢١٩)، هو كشف النقاب عن الحقائق وبيان المعارف الإسلامية التي يحث عليها القرآن الكريم. (طباطبايي، ١٣٧٤، ج٢، ص٢٩٥).

ومع هذا فالإسلام يضع العقل البشري كجزء من الكيان البشري وليس كله. (مطهري، ١٣٧٦، ج ٢٣، ص ١٨٧ - ١٨٦ و ١٨٩)ولهذا يحكم القرآن للعقل على فهم بعض من خبايا المعارف الإليهة من مثل التوحيد والنبوة والمعاد وبعض من المعارف التعاملية.(طباطبايي، ١٣٧٤، ج ٧، ص ٣٨٤) ولكن لا يمكن للمسلمات العقلية تفسير التفاصيل المذكورة في الكتاب والسنة لجميع الأحكام الفقيهة وبيان أحقيتها والصفات التي ذكرت في شأن المعاد، إذ أن العقل ناقص على فهم كنهها ومعناها(المرجع نفسه، ج١،

ص٢٧٧ و ٦٢٢)، ولا يجد العقل البشري أي تفسيرا مناسبا للآيات الفقهية التي تعد من الأيات المحكمة في القرآن الكريم(المرجع نفسه، ج٣، ص ٥٨ و ج ٥، ص ٤١٦) والطريق الوحيد لتفسيرها هو الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ. (المرجع نفسه، ج١، ص ٢٧٧ و ٦٢٢) وكما أشرنا مسبقا أن العقل يحتاج لإرشاد الأنبياء ولا يمكنه الإتكاء على نفسه فقط.(المرجع نفسه، ج٥، ص ٢٢٩ و ج٧، ص ٣٨٤ و ٣٥٨) ومع هذا فالعقل يحكم بنفسه على هذه النواقص ويعترف بها إذ أن إثبات نبوة هذا الشخص و صدقها مثبوتة بالمسلمات العقلية المقبولة. (المرجع نفسه، ج١، ص ٢٧٧ و ٦٢٢).

وعلى كل فكل قول وإن بالغ في الدقة واللطافة فهو قابل للفهم والدرك بواسطة العقل البشري.(همان، ج ١٨، ص ١٢٢) وأن جميع أفعال الله تعالى مقبولة عقليا؛ أي أنه سبحانه و تعالى لا يقوم بشيء غير مثبوت عقليا ولا يترك أمرا إلا والعقل يحكم بتركه والإبتعاد عنه.

ومع هذا فحيقة المعارف الدينية والعقدية أرفع بكثير من كل هذا، إذ أن ما يفهمه العقل البشري من الدين ويبرهن على أحقيته هو ما أثبته المجتمع و سلم على كونه أسوة يقتدى بها والعقل يقصر على التقدم أكثر وفهم الكتاب الذي يحتوي على جميع الحقائق الكونية. (همان، ج ٧، ص ١٧٣).

وعليه وكما نوهت بعض الآيات(الزخرف/٤و٣) فالقرآن الكريم أكبر وأوسع من الفهم البشري ولهذا قد أنزله الله من موطنه ومكانته الحقيقية وأتى به بلسان عربي كي يفهمه البشر ويأنسوا بمفاهيمه وحقائقه. (طباطبايي، ١٣٧٤، ج ١٨، ص ١٢٣).

شوائب العقول:

من المسلم أن العقل أيضا يمكن أن يضل و يسير نحو الهاوية ومنزلق الطرق الخارجية والباطنية ويفقد بذلك دوره الفاعل وتتضائل فاعليته في كشف الحقائق، وحينها لن يتمكن من التمييز بين الحق والباطل لضعف كيانه وسيسير بالإنسان نحو الضياع والإفراط والتفريط. (المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٥٤ و ٣٧٥).ومع إنه في هذه الحالة أيضا سيظن أن تفكره ناتج عن التعقل السليم، ولكن لا يمكن إطلاق مفردة العقل على هكذا عقول إلا من باب المسامحة لأن الإنسان سيكون بعيدا عن الفطرة الربانية والسنن الصحيحة في هكذا موارد.(المرجع نفسه، ص ٣٧٥).

لقد قرن القرآن الكريم(محمد/٢٤) معارفه العقلية و العملية بالمواعظ الحسنة ثم دعى الإنسان إلى تدبرها وحذر بأن الذنوب هي من تميت القلوب وتحيل دونه ودون التفكر والتدبر، ومن هذا المنطلق لا يسمح القرآن الكريم للإنسان أن يتدبر في الأمور دون النظر إلى التقوى لله تعالى لأنه يرى أن لا جدوى من التفكر دون إيمان(البقرة/ ١٩٣ و٢٣٢ والعنكبوت/ ٤٥) أضف عليه أن الأحكام الدينية في القرآن الكريم مزجت ورصنت بالحديث عن الفضائل الحميدة كي يتذكرها الإنسان ويحي قلبه بها وتساعده على التقرب إلى الله تعالى. (طباطبايي، ١٣٧٤، ج ٤، ص ١٢٤).

ومن جهة أخرى نشاهد القرآن ناهيا عن كل ما يعلل و يعثر سبيل التفكر والتدبر، ولهذا فالإسلام يفتخر لكونه قد جعل من الأمور العقلية جذرا لجميع علومه وقد نهى بالشكل القطعي على كل ما يسوق هذا الجدر الأخضر نحو الجفاف والإقلاع. (المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٨٢ ٢٩٠ و ج٤، ص ١٥٩) وبناء على هذا نقول أن المراد بالعقل في القرآن الكريم هو ذلك الفهم الصحيح الناتج عن الفطرة الإلهية. (المرجع نفسه، ج٢، ص ٢٧٦) وهذا امر محوري ذكر في مواطن عديدة من القرىن الكريم. (الملك/١٠ و الحج/٤٦ و البقرة/١٣٠ و ٢٤٢ و العنكبوت/٤٣)

مكانة التعقل والتدبر والعواطف والمشاعر في القرآن:

لقد كرر القرآن في مواطن كثيرة على تنمية العقل البشري ودائما ما فضل التعقل والتدبر على الهوى والشهوات وإتباع الميول النفسية ولقد حذر من ضياع هذه الوديعة الإلهية. ولقد ثبت هذا المعنى في القرآن بصورة جلية تغنينا عن ذكر المستند القرآني هنا، لأن الآي الشريفة التي تشير إلى هذا الموضوع بصراحة أو بالإيماء لا تعد ولا تحصى ولا يمكن نقلها هنا.

وفي نفس الوقت لانجد القرآن الكريم نافيا متهمشا تلك العواطف الجياشة الصحيحة التي تساعد في تربية الأولاد بل ولقد قبل دورها الإيجابي في المجتمع. (طباطبايي، ١٣٧٤، ج٤، ص٥٤٧) ولكن كل ما في الأمر هو أن القرآن أكد على أن تكون العواطف مرصونة بالتعقل والتدبر؛ و موازنة للمسلمات العقلية تابعة لها كي لا يسمح العقل ومسلماته دحض تلك العواطف الجياشة.(المرجع نفسه، ص٥٤٨).

الرواية تحت مجهر التعقل:

إن منهج الإمامية في الرواية هو عدم التمسك بالخبر الآحاد في غير المسائل الفقهية كالإعتقاد والتاريخ والفضائل وغيرها، بل وحتى في الأمور الفقهية لايؤخذ بالخبر الآحاد إلا إذا لم يخالف القرآن الكريم، وإضافة على هذا لابد ان تكون هنالك قرآن تفيد بعلمية هذا الخبر أو تطمئن القلب أو أن يكون الخبر موثوقا بنوعيته أو بمن نقله. (المرجع نفسه، ج٨، ص١٧٥).

وعليه فلو أثبت التدبر والتفكر في القرآن الكريم هذا الخبر المنفرد ولم يثبت فيه خلافا له؛ فلا نجد مانعا من قبوله. (المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢٨٩ و ج ٢، ص ٥٨٠). وأما إن كان الخبر متعارضا مع الأمور العقلية فيرد ويضرب عرض الحائط ولقد جاء هذا القول أيضا في تفسير الميزان(همان، ج ٣، ص ٢٨٩ و ج ٤، ٢٣٢ و ج٥، ص ٤٧٣ و ج ٩، ص ١٧٤ و ج ١٠، ص ١٥٥ و ٤٥٥ و ج١٥، ص ٥٢٥ و ٥٢٦ و...) بالكرات والمرات داعيا إلى نبذ كل الأحاديث التي لا توافق البديهيات العقلية.

تداعيات تهميش التعقل:

يرى العلامة طبابائي أن تمسك الإنسان بالأمور العقلية من سنن الله تعالى في الكون ولو خالف البشر هذا لسلكوا سبل الفساد والضياع وحينها ستعاديه الطبيعة وتكون له ندا وكلما أصبح قويا مهيمنا فإنه لن يجابه القوى الكونية الطبيعية وستهلكه وتقوده نحو الهاوية. (المرجع نفسه، ج٥، ص٢٣٩)

وفي الأخير ننوه أن تفسير الميزان قد بين كثيراً من الأحكام الفقهية المثبوتة نقلاً وعقلاً (نقلاً في القرآن الكريم) والتي يؤكد العلامة الطباطبائي على جانبها العقلي.

النتائج:-

نستخلص من البحث الأعلى المنوبط بدراسة العقل كمصدر في إستنباط الأحكام الفقهية بناء على منهجية صاحب تفسير اليمزان ما يلي:

١. تعد القوى الفكرية والتعقلية من السمات الفطرية للإنسان ولو وظفها بالشكل المطلوب فستكون خصيصته التي تميزه عن باقي المخلوقات.

٢. لقد مكن الله الإنسان من التعقل والتدبر وهي قدرات باطنية إضافة على حواسه الظاهريه وكل هذا ليتمكن من التعمق في الأمور النظرية ويميز الحق من الباطل، والنافع من الضار في الأمور العملية وأن يلتزم بالأحكام. وكل هذه التميزات التي يتمتع بها ترجع لفطرته التي فطره الله بها وأصلها التعقل.

٣. إن للعقل ومسلماته مكانة رفيعة في القرآن الكريم، حتى أن مكانة القرآن الكريم والسنة الشريفة بل وحتى وجود الله تعالى مرهون بوجود التعقل عند البشر.

٤. تعتبر الذهنية العقلية في المنقولات الإسلامية ذهنية موثوقة يستند إليها، كما أن العقل هو الآلية الوحيدة في الأحكام الأصولية في الدين؛ أي يتعمد على العقل وحججه وبراهينه فقط لا غير في إثبات أصول الدين والشريعة.

٥. لا نجد في القرآن الكريم أمرا بالطاعة العمياء مطلقا، بل هناك احكاما فقيهة يصعب على العقل البشري فهمها والتفقه فيها وعليه قد جاء في القرآن الكريم صورا ونماذج ملموسة مع هكذا موارد بغية فهمها بصورة أفضل؛ كما في حديثه عن يوم القيامة والأحكام الجنائية مثلا حيث يختلف حكم الآخرة مع هذا العالم. فالإتكاء على التعقل ومسلمتا العقول الملموسة عند البشر ركن أساسي في إستنباط الأحكام الفقهية.

٦. ولا نجد خللا أو غموضا أو بعض من التخبط في الدستورات الإسلامية بحيث يجعلها غير قابلة للفهم وهذا يبرهن على وجود علاقة وثيقة بين العقل والأحكام الفقهية.

٧. ولهذا نجد ان البنية التحتانية والجدور الفقهية للمعارف الإسلامية مأخذوة من الامور العقلية بل ولقد وضعت هذه الإحكام بالشكل الذي يساعد على نمو هذا القوى الفطرية بشكل صحيح، ولهذا يطحرفي الفقه الإسلامي القاعدة القائلة بوحدانية حكم العقل والشرع. ونشاهد الكثير من التكاتف بين القرآن والعقل في الأمور الفقهية والذي يبرهن على وجود علاقة متينة بين الوحي الإلهي والعقل البشري. وإضافة على هذا يعد القرىن الكريم العقل معيارا محوريا في فهم الماديات وعالم الغيب كما نوه القرآن الكريم في كثير من المواطن على هذا.

٨. ومع كل هذا فطاقة التعقل البشري لا تتعدى حدود هذا الكيان وهي قادرة على إستيعاب بعض من المعارف الإهية من مثل التوحيد والنبوة والمعاد والمفاهيم التعاملية، وهي ناقصة عن بيان الجزئيات والتفاصيل الكاملة التي وردت في القرآن والسنة مفسرة جميع الأحكام والمعايير التشريعية أو بعض من خصائص اليوم الآخر مثلا، لأن العقل البشري لا يفقه كنه هذه المعارف والسبيل الوحيد لقبول هذه المفاهيم هو التصديق بالنبوة والتي يثبتها العقل ببراهينه وحججه الداحضة.

٩. لم يهمش القرآن الكريم تلك العواطف الجياشة التي تساعد البيت في تربية أفراده ولقد وافق على دورها الفاعل في بناء المجتمعات، ولكنه يؤكد على ان تكون هذه العواطف مقرونة بالتعقل والفهم البشري الصحيح.

١٠. وعليه فمن سنن الله في الكون ان يسير البشر خلف مسلمات العقول البديهية وإلا فيسواجه غضب الطبيعة وسيسير نحو الهاوية ولن يتمكن من مواجهة القوى الطبيعية.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

أولاً - المصادر الفارسية:

١. قرشي، سيد على اكبر، قاموس قرآن، ج ٦، تهران، داراالكتب الاسلاميه، ١٣٧١، چاپ ششم.

٢. طباطبايي، محمد حسين، ترجمة: تفسير الميزان، مترجم، سيد محمد باقر موسوي همداني، ج١-٢٠، قم، دفتر انتشارات إسلامي، ١٣٧٤ش.

٣. مطهري، مرتضي، مجموعه آثار شهيد مطهري، ج١، ١٦ و ٢٣، تهران، صدرا، ١٣٧٦ش.

٤. هاشمي شاهرودي، سيد محمود، فرهنگ فقه مطابق مذهب اهل البيت عليهم السلام، ج ٥، قم، موسسه دائرة المعارف فقه اسلامي بر مذهب اهل البيت عليهم السلام، ١٣٨٢ش.

ثانياً - المصادر العربية:

٥. البرقي، احمد بن محمد، المحاسن، ج١، مصحح، سيد جلال‌الدين حسيني مشهور به محدث، قم، دارالكتب الإسلامية، بي تا، چاپ دوم، مشاهده در كتابخانه ديجيتال نور.

٦. الخليل بن احمد، العين، گردآورنده محسن آل عصفور، ج٣، قم، موسسه دارالهجرة، ١٤٠١ق.

٧. الراغب الأصفهانى، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، دمشق بيروت، دارالعلم الدار الشامية، ١٤١٢ق.

٨. السبحاني، جعفر، نظام القضاء و الشهادة في الشريعة الاسلامية الغراء، الجزء الاول، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه‌السلام، ١٣٧٦، الطبعة الأولى.

٩. الطباطبايي، محمدحسين، الحاشية على الكفاية الاصول، ج ٢، قم، بنياد علمي و فكري علامه طباطبايي، بي تا، چاپ اول.

١٠. الطريحي، فخرالدين، مجمع البحرين، تحقيق، سيد احمد حسيني، ج٦، چاپ سوم، تهران، كتابفروشي مرتضوي، ١٣٧٥ش.

١١. الفيض الكاشاني، الوافي، ج ١، اصفهان، مكتبة الامام اميرالمؤمنين عليه‌السلام العامة، ١٤٠٤هـ-ق، چاپ اول، مشاهده در كتابخانه ديجيتال نور.

١٢. القرشي، سيد على اكبر، قاموس قرآن، ج ٦، تهران، داراالكتب الاسلاميه، ١٣٧١، چاپ ششم.

١٣. الكليني، محمدبن يعقوب، اصول كافي، ج ١ و ٢، قم، مؤسسه علمي فرهنگي دارالحديث، ١٣٨٧، چاپ اول.

١٤. النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، ج ١١، قم، مؤسسه آل البيت لاحياء التراث، ١٤٠٨هق، چاپ اول.